

خسرو وشيرين

في التصوير الاسلامي

للدكتور محمد مصطفى

(تسعة)

بعد أن رفع شابور الستار عن غيا شيرين ، تقدم خسرو إليها ، فخرت أمامه ساجدة قبل الأرض تحت قدميه ، وطلقت تشكو إليه بنها وحرزها ، وتذرى دمعا ، وتجرى جفنها ، فأحضر



(شكل ١)

خسرو موبد للموبدان وأمره أن يزوجه شيرين ففعل^(١). وشاء أن ييم الفرح والسرور قلوب القريين إليه ، فأمر موبد للموبدان فزوج مطربه باريد ، نيكيسيا ، مطربة شيرين ، وصديقه شابور ، همايون ، صديقتها ، وأجلس شابور على عرش مملكة أرمينيا مكافأة له على مساعيه التي كملت بهذا النجاح . وبعد أن قضى الزوجان الحبيبان في قصر شيرين وقتاً هنيئاً سعيداً ، رجعا إلى المدائن حيث أقاما حفلات الزواج الرسمية وتوجت شيرين إلى جانب خسرو ملكة على عرش إيران .

(١) أنظر ما يرويه الفردوسي عن زواج خسرو وشيرين في الشاهنامه

ج ٢ ص ٢٣٧ - ٢٣٩

وفي (شكل ١) يجلس خسرو وشيرين في إحدى الليالي على عرش فاخرة بمنظرة جميلة ، في وسط حديقة غناء . وأمام العرش شموع موقدة تحيط بفسقية تسبح فيها ثلاث أوزات . وإلى اليمين بعض رجال الحاشية ومعهم الخدم والسقاة يحملون الطعام والشراب ؛ وإلى اليسار يجلس فريق من وصيفات شيرين ، وهن يرون القمص لتسلية الزوجين الحبيبين . وإحداهن - وهي الجالسة إلى الخلف بجانب المنظرة - لها سحنة أوربية ، ويظهر من ملاحظتها أنها رومية الأصل^(٢) . وهذه الصورة^(٣) من تصوير آقا ميرك^(٤) أحد مشاهير مصوري عصر الشاه طهماسب الأول الصفوي ، وهي في مخطوط نظامي السابق الذكر^(٥) للكتوب لهذا الشاه .

وفي (شكل ٢) يجلس خسرو في روضة على سجادة جميلة ، وقد وضع سبابه يده اليمنى في فمه ، وهو يتحدث إلى شاب راكع إلى يمينه ، بينما يعتمد بمرقعه الأيسر على ركبة زوجته شيرين



(شكل ٢)

(١) انظر Laurence Binyon, p. 20

(٢) مقولة عن: Laurence Binyon, pl. X انظر أيضاً: Martin, S. P. A., V, pl. 896 و Sakisian, pl. LXXIX fig. 142 و II, pl. 136

(٣) أنظر ما كتبه عن هذا المصور في العدد ٤٦١ من « الرسالة » ص ٥٠١ شكل ٣

(٤) أنظر ما كتبه عن هذا المخطوط في العدد ٤٥٠ من « الرسالة »

ص ٢١٢ شكل ٢

من كل ناحية مظاهر القوة والأبهة والجلال ، وكانت بيده جراحة صقيلة جميلة ، هي تحفة نادرة تليق بمقامه السامي الرفيع ، يتطلع فيها إلى وجهه في زهو وخيلاء وغرور . وعلى حين بفتة انتفض هذا الملك الجبار ، إذ رأى بين شعور لحيته السوداء المرسلّة بفناية فاتقة ، شعرة بيضاء تتألق بينها ، كأنها نجمة بميدة في ليل دامس الظلام . وبهت خسرو لهذه الظاهرة العجيبة ، وأرسل يدعو معلمه بزرجيد الحكيم ، ليسأله رأيه في هذا الأمر الغريب . ولما حضر ذلك الرجل الخبير بدواخل الأمور ، ابتسم وحاول أن يسرى عن الملك ، ثم أخذ يشرح له نظام الكون ، ومصير الخلق ، وأفهمه أن دوام الحال من المحال ، وأن مآل كل شيء إلى الزوال

وسب شيرويه بن خسرو من زوجته صريم بنت اميراطور الروم ، وقد تحقق فيه ما تنبأ به النجوم عند ولادته ، وصرف عن الدين ، وخرج عن طاعة رب العالمين ، فلم يحمد أحد سيرته إذ كان مطبوعاً على الشر والإثم . وصادف أن رأى يوماً زوجة أبيه شيرين ، فراقت في عينيه الأعتين ، واشتهاها لنفسه . وهيات له نفسه الشريرة أن يقتل أباه ، فيحصل على العرش ، ويستأثر بالملكة الجليلة عليه

وذاذ ليلة أرسل شيرويه رجلاً من صناعته ، تسلل إلى مخدع الملك ، وطمئنه طعنة نجلاء أصابته في مقتل ، ثم قرأ هاربا . وصحا خسرو والدماء تنزف من جرحه بنزارة وتبين أنه لا أمل له في النجاة من جرحه القاتل ، واشتفى جرعة من الماء يخفف بها آلامه وأوجاعه . ولكنه أبى على نفسه أن يوقظ زوجته الجليلة شيرين . وبعد أن ملأ ناظره من وجه شيرين ، أغمض جفنيه ، واستسلم للموت ، فجاء برداً وسلاماً عليه ، وأسلم الروح وشيثاً فشيثاً صحت شيرين ورأت خسرو يرقد إلى جوارها وقد فارقت الحياة ، فيكت وتوجعت ، ولكنها تناولت نفسها ، إذ علمت أن أمامها واجباً نحو زوجها الراحل يجب عليها أن تؤديه وقامت إلى جنبه ، فسلته وضمخته بالمطور والزيت ، وأعدته لموكبه الأخير (١)

(١) لا يسبب الشاعر نظامي في سرد حادثة مقتل خسرو ، ويخالف في ذلك ما يرويه اللؤرخون من أن شيرويه حبس أباه ثم أمر بقتله وهو في السجن . انظر تفصيل ذلك في الشاهنامه ج ٢ ص ٢٥٠ وما بعدها والطبري ج ٢ ص ١٥٩ وما بعدها وتولدك في ٣٧٩ وما بعدها

مولياً ظهره إليها . وإلى اليمين تجلس نيكيسا مطربة شيرين وهي تنزف على « الرباب » . ويظلمهم جميعاً فرع من شجرة زاهرة ، وقف عليه عصفور رشيق له ذنب طويل ، وقد انحى إلى الأمام كأنه يتأهب لالتقاط قطعة الحلوى التي في يد شيرين . وهذه الصورة (١) مرسومة على « لوحة » من نسج الحرير ، كتب عليها من الخلف « عمل أستاذان خطاي » فظهرت الكتابة مقلوبة في أعلى الصورة إلى اليمين . وهذه الكتابة تدل على أن مصور هذه الصورة فنان من التركستان الصينية ، كما يظهر التأثير الصيني بوضوح في طريقة تصوير فرع الشجرة والزهور ، وفي رسم العصفور الواقف عليه . ويعتقد الدكتور كينل (٢) أنها من تصوير فنان صيني أراد أن يمارس التصوير في إيران فرسم موضوع « خسرو وشيرين » ، ويظهر أنه رأى صوراً كثيرة لخسرو وهو يضع سنيابته اليمنى في فمه علامة لهشته إذا فوجئ برؤية شيرين الجميلة (٣) ، فرسمه هنا أيضاً في هذا الوضع ، مع عدم وجود ما يبرر لهشته ، إذ تجلس شيرين إلى جواره ، ولا يفاجأ برؤيتها . ويؤرخ الدكتور كينل (٤) هذه الصورة من الثلث الأول للقرن التاسع الهجري (١٥ م) - وهو الأرجح - بينما يؤرخها الأستاذ « كوماراسوامي (٥) » في القرن العاشر الهجري (١٦ م) وهذه الصورة محفوظة في متحف الفنون الجميلة بمدينة بوسطن .

هكذا مضت الأيام وتوالت السنون وخسرو ينم بالحياة السعيدة مع زوجته الحبيبة ، وقد خلقت الدنيا فاسترسل إليها . إلى أن كان ذات يوم وقد جلس في إيوان اللبائن ، وحوله الحراس الأشداء الأقوياء ، وبين يديه رجال حاشيته وبلاطه ، يحيط به

(١) متولة عن Amanda K. Coomaraswamy, Les miniatures orientales de la collection Golonbew au Museum of Fine Arts Boston, pl. XXX, fig. 55 a

وانظر أيضاً : Schnitz, II, Taf. 63 و Martin, II, pl. 51 و Sarre & Martin, pl. XVII 2 و Kühnel, Miniatur, Abb. 39 و Migeon, Mameel, I, p. 150, fig. 25 والدكتور زكي عمده حسن -

الصورة في الاسلام - اللوحة ١٦ شكل ٢١

(٢) انظر : Kühnel, Miniaturmalerei, p. 55

(٣) راجع ما كتبه عن ذلك في العدد ٤٥٨ من « الرسالة »

ص ٤٢٨ شكل ٤

(٤) انظر : Kühnel, Book Painting, in : S. P. A., III, p. 1854, n. 4

(٥) انظر : Amanda K. Coomaraswamy, p. 37-40

أمره مطلاع الأرض ، وأطاعته ملوك الشرق والغرب ، وكان يحمل إليه خراج الهند والروم والترك والصين ؛ وقد جاء خبر موته إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم صلح الحديبية مع أهل مكة^(١) وفي وفاة خسرو يقول الشاعر^(٢) :

هي الدنيا تقول بلاء فيها : حذار حذار من بطشى وفتكى
ولا يفسرركم حسن ابتساي • قعولى مضحك والفعل مبكى
بكسرى برورز اعتبروا فإني أخذت الملك منه بسيف هلك
وكان قد استطال على البرايا ونظم جمعهم في سلك ملك
فلو شمس الضحى جاءه يوماً لقال لها عتواً : أف منك
ولو زهر النجوم بقت رضاه تأبى أن يقول : رضيت عنك
فأمسى بمد ما ملك البرايا أسير الموت في ضيق وضنك !

مصطفى

أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) أنظر تولدكه ص ٢٠٣ حاشية ١

(٢) قلاعن الشاهنامه ج ٢ ص ٢٥٦ بدون أى ذكر لاسم الشاعر .
وقد فضل الأستاذ محمد البرهامي منصور بالقسم الأدبي بدار الكتب المصرية وأرشدني إلى أن هذه الأبيات من قصيدة لأن الأهرج الساري يرثى غر الدولة ، أنظر شرح شواهد الثنوز ص ٢٧ - طبعة العامرة الثانية - تأليف الشيخ محمد علي الفيومي الشافعي

عَبْقَرِيَّةٌ مُحَمَّدٌ

يقلم الكاتب الكبير الأستاذ

عباس محمد العقاد

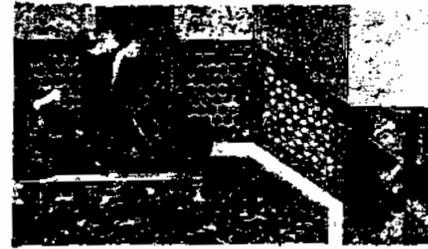
في هذا الكتاب تبلي عظمة محمد القومية على ضوء علم النفس الحديث من نواحيها المختلفة التي تناول عبقرته عليه السلام في أصول الدعوة وقنون الحرب والسياسة والادارة ولياب البلاغة كما تناول علاقته الأبوية والزوجية وعلاقته في حياته الخاصة والعامرة بالأصدقاء والأتياع والرؤوسين مع نبذة مفصلة عن شخصيته الخالصة وعن مكانته في تاريخ العالم .

فهو كتاب جديد في موضوع خالد يقرأه طالب الدين ، ومطالب العلم ، ومطالب التاريخ . ولا يخفى بقرائه للليالي دون سائر القراء من مختلف الأديان .

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى

بشارع محمد علي بصر - ومن عموم الكتاب الشهيرة
وتعن النسخة ١٥ قرشاً - عند أجرة البريد ٢ قرشان

وفي (شكل ٣) هف شيرين مع إحدى وصيفاتها ، وهي تبكي وتندب زوجها الراقد جنبانه على السرير ، وفي صدره جرح غائر تتدفق منه الدماء . وإلى اليمين يفر القاتل هارباً من الباب وفي يده سيف مسلول يقطر منه الدم . ونلاحظ الزخرفة النباتية الجميلة في بلاط أرضية الغرفة ، وما يظهر على الحائط من قهوش دقيقة من صور آدمية ورسوم حيوانات وطيور . وهذه الصورة^(١) في مخطوط للمنظومات الخمس للشاعر خسرو الدهلوي ، كتبه الخطاط سلطان علي في سنة ٩٠٠ هجرية (١٤٩٦ م) وهو محفوظ في مكتبة الدولة ببرلين^(٢)



(شكل ٣)

بعد أن هيات شيرين جنبان خسرو لتوكب الحنازة ، جاءها رسول من قبل شيرويه ، يبلغها هيام سيده بها^(٣) وتظاهرت شيرين بالقبول ، ولبست أبهى ملابسها ، وترينت بأجمل زينة لديها ، فاتبهج شيرويه وظن أنها رضيت به . ولما وصل الموكب إلى القبر ، أدخل الشمس إليه ، وبقيت شيرين بمفردها في القبر إلى جانب جنبان زوجها محرسه . ولما أقفل الباب رفعت الغطاء عن صدر خسرو ووقبت مكان الجرح ، ووضعت خدها على خده واستلت خنجرها أغمدته في قلبها ، ثم بقيت تحتضن حبيبها بين ذراعيها خائفة

يقول صاحب الشاهنامه^(٤) : ينبغي لمن يطالع أحوال خسرو برويز وقرأ أخباره أن ينفذ ذيله من الدنيا الفرارة الفدارة ، فلا يسترسل إليها ، فإن سمها يظلب تراقبها ، وآمال بنها تنتج إخفاقها . وقبيح بالماقل أن ينوي الإقامة في المراحل ، ولو أمكن دفع طارق الحدنان ، بالملك والسلطان ، والتمكين والإمكان ، والأنصار والأعوان ، لكان خليقاً بذلك خسرو برويز الذي عم

(١) منقولة عن : Schulz, II, Taf. 58, Abb. 1 أنظر أيضاً : Arnold and Grohmann, The Islamic Book, pl. 49 B

(٢) أنظر : Schulz, I, p. 112-113

(٣) أنظر تفاصيل أخرى في الشاهنامه ج ٢ ص ٢٥٦ - ٢٥٧

(٤) ج ٢ ص ٢٤٥ وما بعدها